ولكن اختراع الآلة لم يكن إلا رمزاً للتسخير ، فالعاملون بها مسخرون ، والذين يصنعونها مسخرون لأنها تجردهم من إنسانيتهم وتخضعهم لنظامها الدقيق الصارم ، الذى اقترب فى معناه أن يكون عبودية ورقاً للآلة ؛ وإن كان تطور الآلة يتطور الانتقال الحضارى من عصر البخار إلى عصر الكهرباء ، وتطور فكرة الحقوق الإنسانية أدى بالآلة ألا تكون اختراعاً مأساوياً ، بل إبداعاً يؤدى إلى الارتقاء بإشباع حاجات الإنسان من نواتجها .

وبهذا المعنى يكون اختراع « الآلة » طوراً من أطوار الممارسة الإنسانية للابتكار والإبداع بالتحضر ، وليس مزية جنس أو حضارة بذاتها . الأمر إذن أمر طبيعة تطور وطبيعة عصر ، وتاريخ الإنسان الاجتماعى ، وتاريخه فى الحضارة ملازم لتاريخ الآلة وتطورها ، وأثر الآلة فى حضارة الإنسان لا يقل عن أثرها فى ثقافة الإنسان الفرد أو فى قياس الفارق بينه وبين الحيوان .

فإذا كانت بلادنا الشرقية قد أخذت الآلة عن الغرب ، وعرفت الصناعات بمعرفة حضارة أوروبا الصناعية فى العصر الحديث ، فهل أحدثت أو كان يجب أن تحدث هذه المنقولات الصناعية أثرها على شخصيتنا المتميزة الشرقية ؟ .

يقول العقاد : « لسنا ممن يرون أن العلوم والصناعات المنقولة كان لها فى ذاتها مثل ذلك الأثر ، إلا من طريق الخطأ فى فهمها